

## تأملات حول تطور التعليم العالي في الوطن العربي ومدى مساهمته في عملية التنمية: عرض لتجربة الجزائر

### ملخص

قدم الباحث في هذه الورقة تأملات حول التعليم العالي في الوطن العربي بصورة عامة، وتدقيق بالنسبة إلى تجربة الجزائر، فيما يخص كل من مستوى التدرج وما بعد التدرج. حيث أبرز أنه بالموازاة مع التقدم الحاصل من الناحية الكمية في عدد الهياكل، الطلبة، الأساتذة، والفروع العلمية... يوجد تدني في مستوى التكوين ونوعية المتخرجين. إن عملية التصحيح تتطلب بالإضافة إلى رسم استراتيجية مناسبة، إعطاء أهمية أكثر للقطاع حتى لا تتحول مؤسسات التعليم العالي إلى مصانع لتسليم الشهادات العليا فقط، وإنما تصبح فضاءات لديها اعتبار اجتماعي ومصادقية في نشر وإنتاج المعرفة.

أ.د. محمود بوسنة  
قسم علم النفس  
جامعة الجزائر

### يحتاج

المجتمع في عصرنا الحديث، من أجل التفاوض على مكانة في صرح الأمم إلى مؤسسات ذات مصداقية وقدرة عالية على تخزين، واسترجاع ونشر وإنتاج المعرفة، والإشراف على توظيفها في حل المشكلات التي تواجهه، لأن المعرفة أصبحت هي المصدر الحقيقي للقوة، والوسيلة الرئيسية لخلق الثروة وضمان دوام توليدها.

تبرز وتتأكد أهمية مثل هذه المؤسسات نتيجة اتساع ميادين المعرفة وتزايد حجمها بسرعة وباستمرار، ولهذا يستلزم على أي مجتمع يهدف إلى تحقيق التقدم أن يجعل من أولوياته وضع استراتيجية ملائمة لضمان مساهمة التقدم العلمي من جهة والوصول إلى مستوى يؤهله لمساهمة في التراكم المعرفي العالمي.

ترى هل مؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي ترتقي إلى مستوى الغايات المنتظرة منها فيما يخص التعامل مع المعرفة (ترتيبها، توصيلها، نقدها، اكتشاف آفاق لها...) وتوظيفها

### Résumé

L'auteur présente dans cet article des éléments de réflexion concernant l'enseignement supérieur dans le monde arabe. Détails et précisions ont été donnés par rapport à l'expérience algérienne.

Les données révèlent que parallèlement à des évolutions quantitatives appréciables relatives à des paramètres tels que le nombre de structures, d'étudiants, d'enseignants, de disciplines,... il y a une baisse dans la qualité des formations et le niveau des sortants. Cet état de fait nécessite non seulement l'adoption d'une stratégie appropriée mais également qu'un intérêt particulier soit accordé à ce secteur afin que les structures de l'enseignement supérieur ne se transforment pas en des usines de remise de diplômes de haut niveau, mais plutôt en des espaces prestigieux et reconnus dans la diffusion et la production du savoir.

لحل معضلات التنمية المطروحة محليا؟ هل هذه المؤسسات هي قوى للتغيير والتحديث أم تعمل على اجترار الماضي أو إعادة إنتاج ما توصل إليه الآخرون وتثبيت قوى المحافظة والأوضاع على ما هي عليه في أحسن الأحوال؟  
في هذه الورقة سنعمل على طرح مجموعة من المعطيات والتأملات حول التعليم العالي في الوطن العربي وخاصة في الجزائر(1) بهدف طرح هذا الموضوع أمام الباحثين والمهتمين للنقاش والإثراء.

### 1- شبكة مؤسسات التعليم العالي

إن تنظيم التعليم العالي يمكن أن يتم ضمن عدة أنواع من المؤسسات، نذكر منها الجامعات، الكليات، المعاهد، المدارس العليا... مع العلم أن الجامعة تبقى النمط الأكثر انتشارا واعتبارا. حيث نجد في الكثير من الأحيان المعاهد والكليات و/أو المدارس العليا تابعين إداريا وعلميا إلى سلطة الجامعة. يفسر لنا هذا الأمر قوة بعض الجامعات في استقبال عدد كبير من الطلبة واحتوائها لمختلف فروع المعرفة وتخصصاتها.

يعتبر التعليم العالي في الوطن العربي حديث النشأة، اعتمد في إعداد برامج على فلسفة ومناهج البلدان المتقدمة.

وصل عدد الجامعات بالوطن العربي في سنة 1992 إلى 112، بين توزيعها حسب النشأة، (طه تايه النعيمي، 1996) كما يلي:

- 10 جامعات قبل سنة 1950.

- 23 جامعة في الفترة 1950 - 1969.

- 79 جامعة في الفترة 1970 - 1992.

إن النمو السريع في عدد هذه المؤسسات خلال العقدين الأخيرين (السبعينات والثمانينات) كان يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

- توفير التعليم العالي للأجيال الشابة وذلك لإمداد بلدان الوطن العربي بالقوى البشرية المؤهلة في الميادين العلمية المختلفة.  
- العمل على تطوير البحث العلمي والتقني لكونه ركيزة أساسية لدعم وإنجاح مخططات التنمية.

- القيام بنشر المعرفة والثقافة لترقية الكثافة المعنوية في هذه المجتمعات.

إن شبكة مؤسسات التعليم العالي في الجزائر التابعة للوزارة المختصة (2)، متنوعة من حيث طبيعتها، مع العلم أن عدد هذه المؤسسات تجاوز الخمسين حاليا، الجدول (1). وتجدر الإشارة إلى أنه كان يوجد قبل سنة (1981) 11 مؤسسة تعليم عال فقط، بمعنى أنه تم إحداث خلال العقدين الأخيرين أكثر من 40 مؤسسة أخرى. (بوسنة، حجار 1998).

**الجدول (1): شبكة مؤسسات التعليم العالي التابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي.**

| عدد المسجلين الجدد لسنة<br>1999 - 1998 | العدد | مؤسسات التعليم العالي                                   |
|--|-------|---|
| 65006                                  | 17    | - الجامعات  |
| 14658                                  | 13    | - المراكز الجامعية                                      |
| 1480                                   | 6     | - المعاهد الوطنية للتعليم<br>العالي (INES)              |
| 1199                                   | 4     | - المدارس العليا للأساتذة<br>(ENS) و (ENSET)            |
| 1368                                   | 12    | - المعاهد والمدارس الممتازة<br>Institut et Grand Ecoles |
| 83711                                  | 52    | المجموع   |

يوجد تباين كبير بين مؤسسات التعليم العالي من حيث قدرتها الاستيعابية وعدد التخصصات التي تشرف على إعداد متخصصين في مجالها، فمثلا، يوضح لنا الجدول (1) بأن الجامعات استقبلت فيما يخص الدخول الجامعي 1999/98 حوالي 3/4 من الطلبة الجدد أي 77,66% مقارنة مع 17,51% من الطلبة الذين سجلوا في المراكز الجامعية و 1,77% في المعاهد الوطنية و 1,63% في المعاهد والمدارس الممتازة و 1,44% في المدارس العليا للأساتذة. إن هذه الفروقات لديها علاقة ليس فقط بالقدرة الاستيعابية وإنما أيضا بنوع وعدد التخصصات المعتمدة في هذه المؤسسات، إذ أننا نجد في الجامعات الإمكانات البيداغوجية والمادية لتأطير الطلبة في مختلف الفروع والتخصصات الأدبية والعلمية.

## 2- واقع الدراسات على مستوى التدرج

إن النمو في الهياكل رافقه تطور ملحوظ فيما يخص عدد المسجلين بالجامعات العربية سواء تعلق الأمر بمستوى التدرج أو ما بعد التدرج، الجدول (2)، كما أنه ساعد على ترقية مكانة المرأة إذ أن نسبة الفتيات إلى الذكور في العديد من البلدان العربية أصبحت تفوق 40%، الجدول (3) وهذا يعتبر مؤشرا هاما حول ديناميكية التغيير الجارية في الوطن العربي.

وتجدر الملاحظة إلى أن الزيادات المسجلة في عدد المنخرطين في التعليم العالي إذا نظرنا إليها من ناحية نسبتها إلى عدد السكان لوجدنا أن الغالبية العظمى من البلدان العربية لازالت متأخرة في هذا الميدان إذا ما تمت مقارنتها مع الدول المتقدمة. ومن أجل التدقيق أكثر أعددنا الجدول (4)، حيث يقدم معطيات توضح لنا التطور الكمي الذي حصل في قطاع التعليم العالي بالجزائر من الاستقلال إلى غاية نهاية هذا القرن، وهذا بالنسبة إلى عدد من المؤشرات.

إن القراءة السريعة للجدول (4) تمكننا من إبداء الملاحظات التالية:  
عرفت الزيادات في عدد المناصب البيداغوجية على مستوى التدرج اطرادا مستمرا  
معتبرا، إذ نجدها تتضاعف بعدة مرات في كل عشرية.

**الجدول (2) : عدد الطلبة المسجلين في البلدان العربية**

| عدد الطلبة (بالآلاف) |        |             |
|----------------------|--------|-------------|
| الدراسات العليا      | التدرج |             |
| 51,64<br>(4,8%)      | 1017,3 | <b>1979</b> |
| 78,57<br>(5,07%)     | 1470,7 | <b>1984</b> |

\*العدد الموجود بين قوسين يدل على نسبة طلبة الدراسات العليا بالنسبة إلى مجموع  
طلاب الجامعات العربية.  
المصدر: عدد الطلبة مأخوذ من دراسة صبحي قاسم (1988).

**الجدول (3): عدد الطلبة الملتحقين بالجامعات في بعض البلدان العربية  
المصدر: إحصائيات الألسكو 1996 (بتصرف)**

| عدد الطلبة الملتحقين بالجامعات سنة 94 - 1995 |        |                         | مجموعة من<br>البلدان العربية |
|--|--------|-------------------------|------------------------------|
| الإناث                                       | الذكور | المجموع                 |                              |
| 29809  | 40737  | 70546                   | الأردن                       |
| 3987   | 3093   | 7080                    | البحرين                      |
| 44230  | 58452  | 102682                  | تونس                         |
| 102633                                       | 135794 | 238427                  | الجزائر                      |
| 63050  | 78135  | 141185                  | سوريا                        |
| 67137  | 77244  | 144381                  | ليبيا                        |
| 220020                                       | 370282 | 590302<br>(سنة 93 - 94) | مصر                          |
| 99632  | 142421 | 242053                  | المغرب                       |
| 10433  | 70172  | 80605                   | اليمن                        |

**الجدول (4): بعض المؤشرات حول تطور التعليم العالي في الجزائر**

| السنوات | مستوى ما بعد التدرج |        | المتخرجين |        | مستوى التدرج |        | هيئة التدريس |
|---------|---------------------|--------|-----------|--------|--------------|--------|--------------|
|         | المجموع             | الإناث | المجموع   | الإناث | المجموع      | الإناث |              |
| 1962-63 | 2725                | 576    | 93        |        | 298          | 10     |              |
| 1963-64 | 3565                | 783    | 87        |        | 34           |        |              |
| 1964-65 | 5425                | 1135   | 179       |        | 47           |        |              |
| 1965-66 | 6883                | 1429   | 195       |        | 58           |        |              |
| 1966-67 | 7478                | 1349   | 378       |        | 58           | 764    |              |
| 1967-68 | 8735                | 1884   | 654       |        | 42           | 693    |              |
| 1968-69 | 9794                | 2255   | 724       |        | 51           | 724    |              |
| 1969-70 | 12243               | 2911   | 759       |        | 60           | 942    |              |
| 1970-71 | 19311               | 4154   | 1244      |        | 74           |        |              |
| 1971-72 | 23413               | 5345   | 1703      | 587    | 197          | 1718   |              |
| 1972-73 | 26074               | 5835   | 2355      | 638    | 58           | 1854   |              |
| 1973-74 | 29465               | 6840   | 2786      | 406    | 157          | 2881   |              |
| 1974-75 | 35739               | 8422   | 2844      | 636    | 947          | 4041   |              |
| 1975-76 | 41709               | 9543   | 4661      | 719    | 429          | 4670   |              |
| 1976-77 | 50097               | 11658  | 5410      | 816    | 537          | 4984   |              |
| 1977-78 | 51893               | 12138  | 5928      | 971    | 746          | 5886   |              |
| 1978-79 | 51510               | 13669  | 6046      | 1092   | 709          | 6421   |              |
| 1979-80 | 57445               | 14540  | 6963      | 1452   | 1051         | 6207   |              |
| 1980-81 | 66064               | 18092  | 7477      | 1810   | 1390         | 7058   |              |
| 1981-82 | 72590               | 21956  | 7800      | 2415   | 1430         | 7796   |              |
| 1982-83 | 90145               | 29644  | 9584      | 3260   | 1553         | 9311   |              |
| 1983-84 | 97000               | 32382  | 10237     | 3560   | 2289         | 6974   |              |
| 1984-85 | 103223              | 35343  | 11713     | 3810   | 2696         | 10560  |              |
| 1985-86 | 122084              | 41558  | 14097     | 5068   | 3490         | 11264  |              |
| 1986-87 | 143293              | 50085  | 16645     | 6155   | 3992         | 1735   | 12204        |
| 1987-88 | 161464              | 57688  | 18110     | 6210   | 4055         | 2204   | 12970        |
| 1988-89 | 166717              | 60635  | 20493     | 7668   | 4462         | 2871   | 14087        |
| 1989-90 | 181350              | 64784  | 22917     | 9009   | 4658         | 2244   | 14536        |
| 1990-91 | 197560              | 77962  | 25970     | 10142  | 4116         | 2579   | 15171        |
| 1991-92 | 220878              | 88833  | 27954     | 11332  | 4669         | 2663   | 14496        |

|      |       |      |       |       |       |            |            |         |
|------|-------|------|-------|-------|-------|------------|------------|---------|
| 3704 | 14379 | 4674 | 13942 | 12741 | 29336 | 10224<br>9 | 24339<br>7 | 1992-93 |
| 3363 | 14180 | 4685 | 12791 | 13122 | 29341 | 10145<br>8 | 23809<br>1 | 1993-94 |
| 2833 | 14593 | 4556 | 13949 | 16033 | 32552 | 10263<br>3 | 23842<br>7 | 1994-95 |
| 3338 | 14427 | 3603 | 14740 | 18103 | 35671 | 11325<br>9 | 25234<br>7 | 1995-96 |
| 3376 | 14581 | 3756 | 16941 | 17161 | 3723  | 13491<br>2 | 28555<br>4 | 1996-97 |
| 3624 | 15801 | 3731 | 18126 | 19620 | 39554 | 16682      | 33951<br>8 | 1997-98 |
| 3786 | 16260 | 6424 | 19225 |       |       | 18855<br>5 | 37264<br>7 | 1998-99 |

فالفارق بين عدد المسجلين فيما بين الدخول الجامعي 1963/1962 و 1971/1970 هو 16586 مقعد، ولقد وصلت الزيادة في عدد المناصب البيداغوجية فيما بين 1991/1990 و 1999/1998 إلى 175087 منصب.

- إن نسبة الإناث إلى الذكور في التدرج أصبحت حالياً تقدر بـ 50,5 % (1998/1999) وهذا مقارنة مع نسبة ضعيفة في بداية الستينات (13,21 % في سنة 1963/1962) ومحتشمة في بداية الثمانينات (38,27 % سنة 1981/1980). مع العلم أنها وصلت إلى حوالي 40% في بداية التسعينات.

- إن عدد المتخرجين من مجموع التخصصات ارتقى إلى مستوى معتبر إذ يقترب حالياً من 40 ألف متخرج سنوياً، مع الإشارة إلى أن عدد المتخرجين في السنوات الأولى من الاستقلال كان أقل من 100.

عرفت الدراسات العليا في العشرية الأخيرة تطوراً ملحوظاً من حيث عدد المسجلين في هذا المستوى. يعود هذا التحسن بالدرجة الأولى إلى الزيادة الملاحظة في هيئة التدريس في نفس الفترة.

إن مكانة التخصصات في خريطة التعليم العالي من حيث عدد الطلبة الملتحقين بها غير متساوية. يقدم لنا الجدول (5) معلومات تشير إلى أن التكنولوجيا تحتل الريادة. وعموماً نجد حوالي 40 - 45 % من الطلبة مسجلين في ميادين المعرفة المتصلة بالاقتصاد - الاجتماع، علم النفس - الآداب واللغات و 40 % في العلوم الدقيقة والتكنولوجيا و 10 - 15 % في العلوم الطبية وعلوم الأرض والحياة.

#### الجدول (5) : عدد الطلبة المسجلين بالتدرج حسب التخصص

| 1998/1997 | 1997/1996 | 1996/1995 |            |
|-----------|-----------|-----------|------------|
| 21889     | 21487     | 18792     | علوم دقيقة |

|                  |                  |                  |                         |
|------------------|------------------|------------------|-------------------------|
| 2665             | 2169             | 1735             | علوم تطبيقية            |
| 99581            | 88851            | 86672            | تكنولوجيا               |
| 21798            | 20516            | 20062            | طب                      |
| 2193             | 2190             | 2050             | صيدلية                  |
| 2521             | 2256             | 2186             | جراحة الأسنان           |
| 4531             | 4497             | 4443             | بيطرة                   |
| 23206            | 17553            | 15307            | علوم الطبيعة و الحياة   |
| 5496             | 5609             | 4786             | علوم الأرض              |
| 37533            | 30088            | 23571            | علوم اقتصادية           |
| 9118             | 5997             | 3814             | علوم تجارية             |
| 32610            | 24221            | 19332            | علوم قانونية            |
| 2934             | 2224             | 2046             | علوم سياسية             |
| 2374             | 1729             | 1445             | علوم الإعلام و الاتصال  |
| 33691            | 27292            | 22941            | علوم اجتماعية و إنسانية |
| <b>1998/1997</b> | <b>1997/1996</b> | <b>1996/1995</b> |                         |
| 15230            | 11615            | 8102             | اللغة و الأدب العربيين  |
| 22068            | 17260            | 15063            | لغات أجنبية             |
| 339518           | 285554           | 252347           | المجموع                 |

يبدو جليا بأن المجهودات التي بذلت فيما يخص تطوير التعليم العالي أدت إلى نتائج ملموسة خاصة من الناحية الكمية (ارتفاع في عدد الهياكل، ارتفاع في عدد كل من الطلبة والأساتذة، تنوع في الفروع والتخصصات).

إن الإشكال المطروح حاليا على الساحة يتصل بالدرجة الأولى بنوعية التعليم العالي. في هذا الإطار يمكننا أن نقول دون خوف من الوقوع في خطأ، بأن آراء أغلبية أفراد الأطراف الفاعلة في العملية البيداغوجية (المسؤولين الإداريين والبيداغوجيين على المؤسسات والأساتذة) تشير إلى تدني المستوى بل إلى رداءته في بعض الأقسام. إن هذه الصورة تعتبر مصدر تدمير وإحباط لكل من الأساتذة والطلبة ولكنها أيضا مصدرا لرغبة ملحة في العمل على إحداث التحسينات اللازمة للرفع من المستوى. إن أسباب انخفاض مستوى المتخرجين من التعليم العالي يعود إلى عوامل متعددة شرحها يتجاوز أهداف هذا المقال. نذكر منها على سبيل المثال، النقص في إمكانيات الاستقبال، عدم وجود مخابر مجهزة أو فقرها للمستلزمات الضرورية لسيرها الحسن، النقص في العديد من المدعمات البيداغوجية مثل المجالات العلمية والكتب الحديثة، نقص في التكوين المتواصل للأساتذة، تقادم البرامج بالنسبة إلى المعرفة وإلى حاجيات المجتمع، (مع العلم أن إعادة بناء البرامج في بعض الفروع تم بصورة عشوائية)... لكل

هذه الأسباب تعتبر عملية إعادة النظر في سياسة التعليم العالي ضرورية من أجل جعل الجامعة حاملة للواء المعرفة والتقدم.

### 3- واقع الدراسات العليا بالجامعات العربية

يمثل طلاب الدراسات العليا حوالي 5%، الجدول (2)، من بين مجموع طلاب التعليم العالي في الوطن العربي. لقد تجاوز عددهم 78 ألف سنة 1984 مقابل 52 ألف سنة 1979 (صبحي القاسم 1988). إن المعدل السنوي للزيادة هو حوالي 8,5%. ويتابع طلبة الدراسات العليا أعمالهم خاصة في مصر 47% والجزائر 14% والمغرب 11% والسعودية 7%...

يعمل معظم طلاب الدراسات العليا للحصول على درجة الماجستير إذ أن التكوين فيما يخص مستوى الدكتوراه ما زال يعتمد فيه على الجامعات الأجنبية. ومن أجل التدقيق في واقع الدراسات العليا أعدنا الجدول (6) فيما يخص حالة الجزائر، حيث يوضح لنا تطور عدد المسجلين من 1963/1964 إلى 1995/1996 وهذا حسب التخصصات الكبيرة ونوع الرسالة المحضرة (ماجستير أو دكتوراه). إن قراءة الجدول (6) تبرز بوضوح حداثة التجربة فيما يخص الدراسات العليا، وهذا من خلال البداية المحتشمة من حيث عدد المسجلين وعدد التخصصات، والتدرج فيما يخص عملية التوسع. والجدير بالذكر هو أن الوضع بالنسبة إلى الدكتوراه مازال لم ينطلق فعليا، حيث نجد من بين 14740 مسجل في الدراسات العليا ينتمي 2715 فقط إلى المستوى الثاني من هذه الدراسات (السنة الجامعية 1995 - 1996).

#### الجدول (6) : تطورات عدد المسجلين في الدراسات العليا \* الأرقام الموجودة بين قوسين تدل على عدد المسجلين في الدكتوراه الدولة من ضمن العدد الكلي

| السنة الجامعية |       |       |       |       |      |       |     |     |     |     |     |                   |
|----------------|-------|-------|-------|-------|------|-------|-----|-----|-----|-----|-----|-------------------|
| 1995           | 1994  | 1993  | 1992  | 1991  | 1989 | 1984  | 197 | 197 | 196 | 196 | 196 |                   |
| 1996           | 1995  | 1994  | 1993  | 1992  | 1990 | 1985  | 9   | 4   | 9   | 4   | 3   |                   |
|                |       |       |       |       |      |       | 198 | 197 | 197 | 196 | 196 |                   |
|                |       |       |       |       |      |       | 0   | 5   | 0   | 5   | 4   |                   |
| 1461           | 1661  | 1454  | 1527  | 1009  | 1191 | 722   | 255 | 90  |     |     |     | العلوم الدقيقة    |
| (495)          | (651) | (571) | (574) | (350) |      | (151) |     |     |     |     |     |                   |
| 3760           | 3564  | 3238  | 2955  | 2678  | 1760 | 577   | 193 |     | 122 | 74  | 29  | التكنولوجيا       |
| (870)          | (637) | (357) | (281) | (24)  |      | (09)  |     |     |     |     |     |                   |
| 2536           | 2247  | 2249  | 3038  | 3100  | 3413 | 4068  | 181 | 279 |     |     |     | العلوم الطبية     |
|                |       |       |       |       |      |       | 6   |     |     |     |     |                   |
| 1062           | 603   | 594   | 845   | 653   | 686  | 288   | 105 | -   | -   | -   | -   | العلوم البيولوجية |
| (340)          | (160) | (172) | (193) | (128) |      | (46)  |     |     |     |     |     |                   |



|                               |                               |                               |                               |                               |              |                              |                        |                        |            |            |            |  |
|-------------------------------|-------------------------------|-------------------------------|-------------------------------|-------------------------------|--------------|------------------------------|------------------------|------------------------|------------|------------|------------|--|
|                               | 393<br>(138)                  | 199<br>(64)                   | 210<br>(36)                   | 207<br>(55)                   | 560          | 376<br>(39)                  | 58                     | -                      | -          | -          | -          | علوم الأرض<br>و العلوم<br>الفلاحية                 |
| 4803<br>(737)                 | 958<br>(178)                  | 892<br>(135)                  | 1206<br>(124)                 | 1028<br>(08)                  | 1002         | 347<br>(24)                  | 275                    | 287                    | 32         | 14         | 28         | العلوم<br>الاقتصادية<br>و التجارية                 |
|                               | 1359<br>(149)                 | 789<br>(168)                  | 1337<br>(143)                 | 1186<br>(143)                 | 2752         | 796<br>(102)                 | 409                    | 544                    | 78         | 41         | 43         | العلوم<br>القانونية                                |
|                               | 219<br>(42)                   | 231<br>(42)                   | 214<br>(39)                   | 236<br>(49)                   | 405          | 261<br>(15)                  | 170                    | -                      | -          | -          | -          | العلوم<br>السياسية و<br>الإعلام                    |
|                               | 1994<br>(172)                 | 2157<br>(257)                 | 1694<br>(240)                 | 1600<br>(65)                  | 1402         | 568<br>(06)                  | 476                    | 200                    | 85         | 82         | 56         | العلوم<br>الاجتماعية<br>و الأداب و<br>اللغات الحية |
| 1127<br>(206)                 | 955<br>(125)                  | 988<br>(127)                  | 1016<br>(140)                 | 910<br>(124)                  | 790          | 620<br>(39)                  | 208                    |                        |            |            |            | المجموع  |
| <b>14740</b><br><b>(2715)</b> | <b>13949</b><br><b>(2281)</b> | <b>12791</b><br><b>(1893)</b> | <b>13942</b><br><b>(1770)</b> | <b>14607</b><br><b>(1163)</b> | <b>13367</b> | <b>8597</b><br><b>(1290)</b> | <b>396</b><br><b>5</b> | <b>140</b><br><b>0</b> | <b>317</b> | <b>211</b> | <b>156</b> |  |

إن بداية التوسع الحقيقية، في الدراسات العليا كانت مع بداية النصف الثاني لعقد الثمانينات إذ أنه في السابق كان مشروع الدراسات العليا ينحصر بالأساس في التكوين بالخارج على شكل بعثات خاصة إلى البلدان الأوروبية وأمريكا الشمالية، الجدول (7).

#### الجدول (7): بعثات التكوين بالخارج

| التكوين بالخارج |        |             |
|-----------------|--------|-------------|
| الدراسات العليا | التدرج |             |
| 535             | -      | 1974 - 1975 |
| 2126            | -      | 1979 - 1980 |
| 5392            | 4940   | 1984 - 1985 |
| 5990            | 5737   | 1985 - 1986 |
| 4925            | 4600   | 1986 - 1987 |
| 3964            | 3723   | 1987 - 1988 |
| 2677            | 2451   | 1988 - 1989 |
| 1753            | 1509   | 1989 - 1990 |

إن العودة للعديد من المتخرجين من الجامعات الغربية من جهة وبداية نضج التجربة فيما يخص التدرج شجع على دخول المرحلة العليا فيما يخص التعليم العالي. إن عملية فتح أقسام للدراسات العليا في عدد من الجامعات رافقه تقليص متواصل فيما يخص عدد المستفيدين من التكوين بالخارج، الجدول (7).

وبموازاة الزيادات في عدد الطلبة وفتح أقسام للدراسات العليا نسجل ارتفاعا محسوسا فيما يخص أعضاء هيئة التدريس وهذا حتى بداية التسعينات أين عرفت هذه الهيئة نوعا من الاستقرار حول نفس العدد تقريبا، الجدول (8). وفي هذا الإطار يمكننا الإشارة إلى أن عدد النساء ضمن هيئة التدريس يقدر بحوالي الخمس، بعدما كان في البداية لا يتجاوز 10 مدرسات تعليم جامعي. وأما فيما يخص التعاون فالبيانات تشير بوضوح إلى التناقص المستمر في عدد الأجانب منذ بداية النصف الثاني للثمانينات ولقد أصبح الآن عددهم لا يتجاوز 128 مدرسا.

#### الجدول (8) تطور هيئة التدريس

| السنة الجامعية | العدد الإجمالي | عدد الإناث | عدد الأجانب |
|----------------|----------------|------------|-------------|
| 1963 - 1962    | 298            | 10         | 216         |
| 1970 - 1969    | 842            | -          | 407         |
| 1975 - 1974    | 4041           | -          | 2166        |
| 1980 - 1979    | 6207           | -          | 2588        |
| 1985 - 1984    | 10560          | -          | 2216        |
| 1990 - 1989    | 14536          | 2244       | 914         |
| 1995 - 1994    | 14593          | 2833       | 142         |
| 1996 - 1995    | 14427          | 3338       | 128         |

يقدم لنا الجدول (9) معلومات حول الدرجة العلمية لأعضاء هيئة التدريس، والتي تبين النسبة الضعيفة لفئة الأساتذة ذوي التأهيل العلمي المطلوب للإشراف والتدريس على مستوى ما بعد التدرج أي درجة أستاذ وأستاذ محاضر (6,24,11% + 6,6% =) إن هذه الوضعية تعتبر من الأسباب الرئيسية لعدم فتح التسجيلات على مستوى الدكتوراه في العديد من مؤسسات التعليم العالي.

#### الجدول (9): توزيع أعضاء هيئة التدريس حسب الدرجة العلمية

| السنة الجامعية 1996 - 1995 |                |      |                  |
|----------------------------|----------------|------|------------------|
|                            | العدد الإجمالي | %    | عدد الأجانب منهم |
| - أستاذ كرسي               | 666            | 4,6  | 33               |
| - أستاذ محاضر              | 959            | 6,6  | 51               |
| - أستاذ مساعد مكلف بالدروس | 5205           | 36,1 | 06               |
| - أستاذ مساعد              | 5040           | 34,9 | 28               |
| - مساعد                    | 2557           | 17,7 | 10               |
| - مجموع                    | 14247          | 100  | 128              |

#### 4 - العلاقات بين الدراسات العليا وحاجيات التنمية

يبدو لنا واضحا من خلال ما سبق بأن الدراسات العليا ظهرت نتيجة توسع نشاط التعليم الجامعي على مستوى التدرج، وتزايد عدد أعضاء هيئة المؤطرين الجزائريين العائدين من الخارج والذين تكونوا في إطار البعثات التي تمت في السبعينات و بداية الثمانينات. وبالإضافة إلى ذلك تزايد حاجيات مختلف القطاعات بما فيها قطاع التعليم العالي إلى تنمية قدراتها البحثية. تبرز أهمية الدراسات العليا في كونها تدعم البحث العلمي وتساهم في إنتاج المعرفة وهذا من خلال الرسائل التي يقوم بها الطلبة الباحثون من جهة ومن جهة أخرى، تكوين الباحثين في مختلف الميادين وبالتالي تفيد في تقليص عملية اللجوء إلى الجامعات الأجنبية. فالدراسات العليا هي السبيل كما يؤكد محمد ناصر (1990) إلى إعداد القوى البشرية المتخصصة، ومجال توليد الفكر وإعداد الباحثين والقادة في مجالات العلم والإنتاج وأداة تجنيد الثقافة.

ورثت الجزائر في الستينات، فيما يخص الدراسات العليا قواعد العمل السائدة في النظام الفرنسي والمبني أساسا على شهادة الدراسات المعمقة (DEA) ثم الدكتوراه الدرجة الثالثة، والدكتوراه الدولة. وفي سنة 1987 صدر المرسوم الذي أدى إلى تأسيس نظام الدراسات العليا الجاري العمل بها حاليا والذي يعتمد على شهادة الماجستير والدكتوراه.

عمل هذا التنظيم الجديد على الرفع من ديناميكية نشاط ما بعد التدرج رغم ثقل وزن العديد من العوامل التي جعلت الجامعة الجزائرية تخطو خطوات صغيرة فقط، خاصة على مستوى الدكتوراه، والدليل على ذلك حجم الرسائل التي نوقشت خلال الخمس سنوات الأولى من التسعينات، الجدول (10).

**الجدول (10): عدد الرسائل التي تم مناقشتها خلال النصف الأول من التسعينات (1991/1990 - 1995/1994) المصدر: بلميز (1997) (بتصرف).**

| المجموع | الدكتوراه | الماجستير |                             |
|---------|-----------|-----------|-----------------------------|
| 1168    | 128       | 1040      | العلوم الدقيقة والتكنولوجيا |
| 414     | 29        | 385       | علوم الطبيعة والحياة        |
| 501     | 43        | 458       | العلوم الاجتماعية           |
| 2083    | 200       | 1883      | المجموع                     |

يوضح لنا الجدول الأنف الذكر بأنه تم مناقشة حوالي 2000 رسالة خلال الخمس سنوات الأولى من التسعينات (200 منها فقط فيما يخص الدكتوراه) وهذا بالنسبة إلى جميع التخصصات. يعتبر مثل هذا العدد بعيدا نوعا ما على المستوى الذي يدل على انطلاقة فعلية فيما يخص الدراسات العليا، مع العلم أن مستوى التسجيلات مثلا في السنة التي تسبق هذه الفترة كان معتبرا 13367 (أنظر الجدول (6)).

إن هذا يعني بأن مجهودات المؤطرين والطلبة عادة ما تتوقف ولا تؤدي إلى نتيجة أو إنتاج. إن هذه الظاهرة جديرة فعلا بالدراسة من أجل تحديد العوامل التي تقف خلف هذا الإهدار بدقة. ويمكننا أن نشير في هذا الإطار إلى عدد من الأسباب التي نرى أن لديها علاقة وتأثير، بناء على ملاحظتنا وتجربتنا الخاصة.

**- التأطير:** يوجد هناك ضغط كبير فيما يخص الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه حيث نجد العديد من الأساتذة المشرفين قد أسند إليهم أكثر من 20 طالبا وبالتالي يتحول الإشراف إلى مجرد إجراء شكلي بسبب هذا الخلل في التوازن. حيث أنه، حسب المعايير وما تنص عليه النصوص التشريعية، إن عدد الطلبة بالنسبة إلى كل أستاذ من المفروض أن يكون في حدود (5 - 8 طلاب).

**- الحوافز:** عرفت التصورات فيما يخص أهمية الدراسة في النجاح المستقبلي إعادة بناء عند الأفراد في العقد الأخير. لقد أصبح الفرد يهتم أكثر بالوسائل التي تضمن له تحقيق الحاجيات المادية من الاعتبار الاجتماعية المرتبطة بالتعليم والتكوين عموما. خاصة وأن التعليم الجامعي وحتى ما بعد التدرج أصبح لا يضمن العمل المناسب والذي يمكن أن يتطلع إليه الفرد. وبالتالي فإن التضحيات المقابلة لمواصلة الدراسة تفقد المعنى عند الأفراد المعنيين. ولهذا نجد العديد من الطلبة يقبلون على مسابقات الماجستير، لأسباب متعددة ليس بالضرورة الرغبة في متابعة هذه الدراسات، مثلا التهرب من أداء الخدمة الوطنية بالنسبة للذكور، والتهرب من القيود التقليدية العائلية بالنسبة للإناث، أو عدم وجود فرص أخرى تهم هؤلاء الطلبة والطالبات. ولهذا نجدهم بعد التسجيل وقضاء السنة الأولى الإجبارية يتوقفون على مواصلة الجهد من أجل الانتهاء من رسائلهم.

وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ المشرف نفسه خاصة صاحب الدرجة العالية (أستاذ كرسى) ليس لديه دافعية كبيرة تجعله يبذل المجهود اللازم والإضافي لمساعدة الطلبة في التقدم والإسراع بإنجاز بحوثهم المسجلة في هذا الإطار. وذلك لأن عمل الإشراف ومناقشة الرسائل... لا يقابله التشجيع المادي والمعنوي المناسب.

وبالإضافة إلى هذين العاملين يمكننا أن نذكر منقوصات أخرى مثل عدم وجود مخابر بحث في أغلبية المعاهد، قلة المصادر الحديثة والمجلات العلمية، غياب التشجيعات المعنوية للطلبة المسجلين مثل منح علمية قصيرة المدى للتوثيق...

ولعل أهم تساؤل يمكن إثارته، بعد تناولنا للبعد الكمي المتصل بالبحث على مستوى رسائل ما بعد التدرج، يدور حول مدى أهمية هذه البحوث بالنسبة إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية المحلية، بمعنى هل لديها تأثير على مخططات الزراعة، الصناعة، التعليم، الصحة... إن آراء المشرفين المباشرين على الجامعات من مديري ورؤساء المجالس العلمية فيما يخص هذه النقطة، تسير في نفس الاتجاه، حيث يؤكدون على أن البحوث المسجلة على مستوى الدراسات العليا تميل إلى أن تكون ذات طبيعة أكاديمية جامعية غير مرتبطة بالمسائل المباشرة للتنمية. والعدد القليل من الرسائل من نوع "البحث - التنمية" فإنها لا تجد نتائجها في أغلب الأحيان الطريق إلى التطبيق.

إن مثل هذه التصريحات تجعلنا نختصر البحوث التي يقوم بها الباحثون الطلبة على مستوى الماجستير والدكتوراه إلى مجرد تمارين بحثية إجبارية لا بد القيام بها من أجل نيل الشهادات الجامعية العالية. وذلك لكون هذه الأعمال غير مندمجة ضمن إستراتيجية بحث جامعي وطني يسعى إلى حل مشاكل معينة تساعد على إنجاح الجهود التنموية. إن الفرق بين طبيعة العمل البحثي في جامعاتنا وفي جامعات البلدان المتقدمة واضحة. إذ نجد طالب الدراسات العليا في هذه الجامعات يكلف بتناول جزء من موضوع (إشكالية) بحث يشرف على دراسته فريق من الباحثين في مختبر بحث تابع لقسم معين. فالطالب هنا عضو في فريق لديه هوية بحثية ويسعى إلى حل مسائل، يعمل فيما بعد على تطبيق نتائجها في قطاع معين. أما الطالب في جامعاتنا فإنه في أغلب الأحيان هو الذي يختار موضوع البحث بدون مساعدة تذكر من هيئة الإشراف، وعمله ينتهي بمجرد المناقشة لكي يوضع بعد ذلك في الدرج، إذ أنه في أحسن الحالات ينشر. وأكبر مساعدة يمكن أن يتلقاها الطالب هي تفرغ من طرف المشرف في حالة ما إذا كان موضوع البحث يهمله.

إن المشاكل التي يعاني منها طالب الدراسات العليا متعددة أهمها، فقر وقبح محيط البحث الذي يوجد فيه. إن الأساس في إنجاز الأبحاث هو الفردية وعدم وجود المنظور الزمني، هذا بالإضافة إلى غياب الندوات، واللقاءات العلمية حول مواضيع البحث المختلفة من أجل النقد والإثراء وتجاوز معوقات الزمان والمكان. إن هدفنا من إبراز أنواع الخلل هذه هو من أجل التأكيد على أهمية توظيف الدراسات العليا توظيفاً اجتماعياً يخدم التنمية ويكون البحث على هذا المستوى يهدف كما قال رياض الزغل (1985) إلى إنتاج علم قادر على تغيير الواقع، وبالتالي غير منعزل عن الظروف التي تحيط به.

## الخاتمة

عندما نفكر في الفجوة التي تفصل بيننا وبين العالم المتقدم، وعندما ندرك أنه لا مجال لتدارك هذه الفجوة إلا بواسطة استثمار اجتماعي ضخم في ميدان التعليم العالي، يزداد في رأينا أهمية القيام بتشخيص دقيق للتجربة السابقة في هذا القطاع من أجل إبراز خاصة جوانب الضعف للعمل على تداركها. إن مثل هذا العمل ضروري لوضع استراتيجية تضمن تحقيق فعالية التعليم العالي وتجعله يرتقي إلى مستوى الانتظارات، حيث يكون جسراً يسهل على مجتمعات العالم العربي المرور إلى القرن الواحد والعشرين.

كلامنا هذا لا يعني بأن تجربة التعليم العالي في الجزائر وبقية البلدان العربية لم تلعب دورها، إذ أنها ساهمت بقدر ما في تحقيق مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها هذه المجتمعات، على الأقل بتدعيم مختلف القطاعات بالإطارات الفنية. إلا أننا في حاجة ماسة اليوم إلى مراجعة أنظمتنا التعليمية العالية، لأننا نواجه الكثير من التحديات الداخلية والخارجية، ولأن شروط مجتمع الغد تختلف عن شروط مجتمع

العقود الفارطة. إن المجتمعات التي سنتمكن من تحقيق الرخاء والاستقرار في عالم الغد هي تلك التي تكون قادرة على التعامل بشكل فعال مع التكنولوجيا الحديثة وعلى مجتمعاتنا أن تعمل على جعل مؤسسات التعليم العالي تنطلق من حاضر التقدم العلمي والتكنولوجي وأن نتطلع إلى المستقبل وتهدف إلى تغيير الواقع بدل من إعادة إنتاج الحاضر.

## المراجع

- 1 - بوسنة. م، حجار، ط (1998). البحث العلمي في الجامعات ومدى مساهمته في التنمية العربية.
- 2 - طه تايه النعيمي (1996) : البحث العلمي وعلاقته بالتنمية المستدامة: المؤتمر السادس لوزراء التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي. الجزائر 16 - 1996/19.
- 3 - صبحي القاسم (1988): التعليم العالي في الوطن العربي منتدى الفكر العربي - عمان.
- 4 - رياض الزغل (1985): التعليم الجامعي والتنمية العلمية. دراسات عربية، العدد 12.
- 5 - محمد ناصر (1990): التنسيق بين الجامعات العربية لتطوير الدراسات العليا والبحث العلمي. المستقبل العربي العدد 142.
- 6- Belmir B., Réalités et perspectives de la recherche scientifique universitaire, Les Annales de l'université d'Alger, N°10, 1997.

## الهوامش

- 1- اكتفينا في هذا المقال بالتعرض إلى التعليم العالي على مستوى التدرج وما بعد التدرج دون الإلمام بموضوع البحث العلمي الجامعي والذي تطرقنا إليه بالتحليل في مقال آخر (أنظر حوليات جامعة الجزائر العدد 12).
  - 2 - يوجد هناك العديد من مؤسسات التعليم العالي التابعة للقطاعات الاقتصادية الكبيرة مثل الصناعة والفلاحة والطاقة... وتشرف على تقديم برامج تكوين تخصص بالدرجة الأولى المستوى الخامس (تقني سام).
- وصل عدد المسجلين في هذه المؤسسات سنة 1997 / 98 إلى 11058 نجد من بينهم
- 8070 مسجل في المستوى الخامس.

